

تفسير روح البيان في تفسير القرآن/ حقي (ت 1127 هـ) مصنف و لم يتم تدقيقه

بعد

## { قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ } (1)

{ قل أعوذ برب الفلق } الفلق الصبح لأنه يفلق عنه الليل و يفرق فهو من باب الحذف و الإيصال فعل بمعنى مفعول كالصمد و القبض بمعنى المصمود إليه و المقبوض كما مر فان كل واحد من المفلوق و المفلق عنه مفعول و ذلك أنما يتحقق بأن يكون الشيء مستورا و محجوبا بآخر ثم يشقق الحجاب الساتر عن وجه المستور و يزول فيظهر ذلك المستور و ينكشف بسبب زواله و ذلك الحجاب المشقق مفلوق و المحوب المنكشف بزواله مفلوق عنه و الصبح صار مفلوقا عنه بإزالة ما عليه من ظلمة الليل يقال في المثل هو أبين من فلق الصبح و الفلق أيضا الخلق لأن الممكنات بأسرها كانت أعيانا ثابتة في علم الله مستورة تحت ظلمة العدم فالله تعالى فلق تلك الظلمات بنور التكوين و الإيجاد فظاهر ما في علمه من المكونات فصلت مفلوقا عنها و في تعليق العياذ باسم الرب المضاف إلى الفلق المنبئ عن النور عقيب الظلمة و السعة بعد الضيق و الفتق بعد الرتق عدة كريمة بإعادة العائد مما يعوذ منه و أنجائه منه وتقوية لرجائه لتذكير بعض نظائره ومزيد ترغيب له في الجد والاعتناء بقوع باب الالتجاء إليه و الإعازة بربه قالوا إذا طلع الصبح تتبدل الثقلة بالخفة و الغم بالسرور روى أن يوسف عليه السلام لما ألقى في الحب وجعت ركبته وجعا شديدا فبات ليلته ساهرا فلما قرب طلوع الصبح نزل جبريل بإذن الله تعالى يسأله و يأمره بان يدعوره فقال يا جبريل ادع أنت واء من فدعا جبريل وامن يوسف عليهما السلام فكشف الله تعالى ما كان به من الضر فلما طاب وقت يوسف قال يا جبريل و أنا أدعو أيضا و تؤمن أنت

فسأل يوسف ربه أن يكشف الضر عن جميع أهل البلاء في ذلك الوقت فلا جرم ما من مريض إلا و يجد نوع خفة في آخر الليل و عن بعض الصحابة رضي الله عنهم انه قدم الشام فأى دور أهل الذمة و ما هم فيه من خفض العيش و ما وسع عليهم به من دنياهم فقال لا أبالي أليس من ورائهم الفلق فقيل و ما الفلق قال بيت في جهنم إذا فتح صاح جميع أهل النار.

### { مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ } (2)

{ من شر ما خلق } أي من شر ما خلقه من الثقلين و غيرهم كائنا ما كان من ذوات الطباع والاختيار وبالفرسية ازبدي آنچه آفريد است زهمذيات انس و جن و سباع و هوام. فيشمل جميع الشرور و المضار بدنية كانت أو غيرها من ضرب و قتل و شتم و عض و لدغ و سحر و نحوها و إضافة الشر إليه لاختصاصه بعالم الخلق المؤسس على امتزاج المواد المتباينة و تفاعل كفياتها المتضادة المستتبعة للكون و الفساد و أما عالم الأمر فهو خير محض منزه عن شوائب الشر بالكلية و قرأ بعض المعتزلة القائلين بأن الله لم يخلق الشر من شر بالتونين ما خلق على النفي و هي قراء مردودة مبنية على مذهب باطل الله خالق كل شيء.

### { وَ مِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ } (3)

{ و من شر غاسق } تخصيص لبعض الشرور بالذكر مع اندراجه فيما قبله لزيادة مساس الحاجة إلى الاستعاذة منه لكثرة وقوعه و لأن تعيين المستعاذ أدل على الاعتناء بالاستعاذة و ادعى إلى الإعازة أي و من شر ليل مختلط ظلامه متسند و ذلك بعد

غيبوبة الشفق من قوله تعالى إلى غسق الليل أي اجتمع ظلمته و في القاموس الغسق  
محاكة ظلمة أول الليل و غسق الليل غسقا و يحرك اشتدت ظلمته فالغاسق الليل المظلم  
كما في المفردات و أصل الغسق الامتلاء يقال غسقت العين إذا امتلأت دمعا أو هو  
السيلان و غسق العين سيلان دمعا و إضافة الشر إلى الليل لملاسته له بحدوثه فيه و  
تكثيره لعدم شمول الشر لجميع أفراده و لا لكل أجزائه { إذا وقب } الوقب النقرة في  
الشيء كالنقرة في السخرة يجتمع فيها الماء و وقب إذا دخل في وقت و منه وقيت  
الشمس إذا غابت و وقب الظلام دخل و المعنى إذا دخل ظلامه في كل شيء و  
تقييده به لأن حدوث الشرفيه أكثر و التحرز منه أصعب و أعسر و لذلك قيل الليل  
أخفى للويل و قيل اغدر الليل لأنه إذا اظلم كثر فيه الغدر و الغوث يقل في الليل و  
لذا لو شهر إنسان بالليل سلاحا فقتله المشهر عليه لا يلزمه قصاص و لو كان نهارا  
يلزمه لأنه يوجد فيه الغوث و الحائل أنه ينبعث أهل الحرب في الليل و تخرج عفاريت  
الجن و الهوام و المؤذيات نهي رسول الله عليه السلام عن السير في أول الليل و أمر  
بتغطية الأواني و إغلاق الأبواب و إيكاء الأسيقية و ضم الصبيان و كل ذلك للحذر  
من الشر والبلاء و قيل الغاسق القمر اذا امتلأ ووقوبه دخوله في الخسوف و اسوداده لما  
روى عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت اخذ رسول الله عليه السلام بيدي فأشار إلى  
القمر فقال " **تعوذني بالله من شر هذا فإنه الغاسق إذا وقب و شره الذي يتقى ما**  
**يكون في الأبدان** " كآفات التي تحدث بسببه و يكون في الأديان كالفتنة التي بها  
افتتن من عبده و عبد الشمس و قيل التعبير عن القمر بالغاسق لأن جرمه مظلم و إنما  
يستنير بضوء الشمس و وقوبه المحاق في آخر الشهر و المنجمون يعلنونه نحسا ولذلك  
لا تشتغل السحرة بالسحر المورث للتمريض إلا في ذلك قيل و هو المناسب لسبب  
التزول و قيل الغاسق الثريا و وقوبها أسقطها لأنها إذا سقطت كثرت الأمراض و

الطواعين و إذا طلعت قلت الأمراض و الألم و قيل هو كل شر يعترى الإنسان و وقوب به هجومه و يجوز أن يراد بالغاسق الأسود من الحيات و وقبه ضربه و لبسسه و في القاموس هو الذكر إذا و قام هو منقول عن ابن عباس رضي الله عنهما و جماعة.

### { وَ مِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ } (4)

{ و من شر النفاثات } واز شردمند كان. من النفث و هو شبه النفخ يكون في الرقية و لاريق معه فان كان معه ريق فهو التفل يقال منه نفث الراقي ينفث و ينفث بالضم و الكسر و النفاثات بالتشديد يراد منها تكرار الفعل و الاحتراف به و النفاثات تكون للدفعة الواحدة من الفعل و لتكراره أيضا { في العقد } جمع عقدة و هي ما يعقده الساحر على وتر أو حبل أو شعر وهو ينفث و يرقى و أصله من العزيمة و لذلك يقال لها عزيمة كما يقال لها عقدة و منه قيل للساحر معقد و المعنى و من شر النفوس أو النساء السواحر اللاتي يعقدن عقدا في خيوط و ينفثن عليها و تعريفها إما للعهد أو للإيدان بشمول الشر لجميع أفرادهن و تمحضهن فيه و تخصيصه بالذكر لما روى ابن عباس رضي الله عنهما و عائشة رضي الله عنها أنه كان غلام من اليهود يخدم النبي عليه السلام و كان عنده أسنان من مشطه عليه السلام فأعطاهم اليهود فسحروه عليه السلام فيها و لذا ينبغي أن يقطع الظفر بعد التقليم و كذا الشعر إذا اسقط من اللحية و الرأس نصفين أو أكثر لئلا يسحر به احد و تولاه لبيد بن اعصم اليهودي و بناته و هن النفاثات في العقد فدفعها في بئرليس و في عين المعاني في بئرلبي زريق تسمى ذروان فمرض النبي عليه السلام روى انه لبث فيه ستة أشهر فترل جبرائيل بالمعوذتين بكسر الواو في القاموس و أخبره بموضع السرح و بمن سحره و بم سحره

فأرسل عليه السلام عليا و الزبير و عمارا رضي الله عنهم فنزحوا ماء البئر فكأنه نقاعة الحناء ثم رفعوا راعونة البئر و هي الصخرة التي توضع في أسفل البئر فأخرجوا من تحتها الأسنان و معها و ترقد عقد فيه إحدى عشرة عقدة مغرزة بالأبر فجاؤا بها النبي عليه السلام فجعل يقرأ المعوذتين عليها فكان كلما قرأ آية انحلت عقدة و وجد عليه السلام خفة حتى انحلت العقدة الأخيرة عند تمام السورتين فقام عليه السلام كأنما انشط من عقال و جعل جبرائيل يقول بسم الله أرقيك و الله يشفيك من كل شيء يؤذيك من عين و حاسد فلذا جوز الاسترقاء بما كان من كلام الله و كلام رسوله لا بما كان بالعبرية و السريانية و الهندية فانه لا يحل اعتقاده فقالوا يا رسول الله أفلا نقتل الخبيث فقال عليه السلام " **أما أنا فقد عافاني الله و اكره أن أثير على الناس شرا** " قالت عائشة رضي الله عنها ما غضب النبي عليه السلام غضبا ينتقم لنفسه قط ألا أن يكون شيئا هو لله فيغضب الله و ينتقم و قيل المراد بالنفث في العقد إبطال عزائم الرجال بالحيل مستعار من تليين العقدة بنفث الريق ليسهل حلها فعلى هذا فالنفثات هي جنس النساء اللاتي شأنهن أن يغلبن على الرجال و يحولنهم عن آرائهم بأنواع المكر و الحيلة فمعنى الآية أن النساء لأجل استقرار حبهن في قلوب الرجال يتصرفن فيهم يحولنهم من رأى إلى رأى فأمر الله تعالى له رسوله بالتعوذ من شرهن.

اعلم أن السرح تخييل لا أصل له عند المعتزلة و عند الشافعي تمرىض بما يتصل به كما يخرج من فم المتائب و يؤثر في المقابل و عندنا سرعة الحركة و لطافة الفعل فيام خفي فهمه و قيل طلسم يبني على تأثير خصائص الكواكب كتأثير الشمس في زئبق عصى سحرة فرعون و المعتزلة أنكروا صحة الرواية المذكورة و تأثير السحر فيه عليه السلام و قالوا كيف يمكن القول بصحتها و الله تعالى يقول و الله يعصمك من الناس و قال و

لا يفلح الساحر حيث أتى و لأن تجويزه يفضى إلى القدح في النبوة و لأن الكفار كانوا يعيرونه بأنه مسحور فلو وقعت هذه الواقعة لكان الكفار صاقين في تلك الدعوى و لحصل فيه عليه السلام ذكر العيب و معلوم أن ذلك غير جائز و قال أهل السنة صحة القصة لا تستلزم صدق الكفرة في قولهم انه مسحور و ذلك لأنهم كانوا يريدون بكونه مسحورا انه مجنون أزيل عقله بسبب السحر فلذلك ترك دين آبائه فأما أن يكون مسحورا بألم يجده في بدنه فذلك مما لا ينكره احد و بالجملة فالله تعالى ما كان يسلط عليه لا شيطانا و لا انسيا و جنيا يؤذيه فيما يتعلق بنبوته وعقله و أما الإضرار به من حيث بشريته و بدنه فلا بعد فيه و تأثير السحر فيه عليه السلام لم يكن من حيث انه نبي و إنما كان في بدنه من حيث أنه إنسان و بشر فانه عليه السلام يعرض له من حيث بشريته ما يعرض لسائر البشر من الصحة و المرض والموت و الأكل والشرب و دفع الفضلات و تأثير السحر فيه من حيث بشريته لا يقدر في نبوته و إنما يكون قادحا فيها لو وجد للسحر تأثير في أمر يرجع إلى النبوة و لم يوجد ذلك كيف و الله تعالى يعصمه من أن يضره احد فيما يرجع إليها كما لم يقدر كسر رباعيته يوم احد فيما ضمن الله له من عصمته في قوله والله يعصمك من الناس و في كشف الأسرار فان قيل ما الحكمة في نفوذ السحر و غلبته في النبي عليه السلام و لماذا لم يرد الله كيد الكائد إلى نحره بإطبال مكره و سحره قلنا الحكمة فيه الدلالة على صدق رسول الله عليه السلام و صحة معجزاته و كذب من نسبه إلى السحر و الكهانة لان سحر الساحر عمل فيه حتى التبس عليه بعض الأمر و اعتراه أنواع من الوجع و لم يعلم النبي عليه السلام بذلك حتى دعا ربه ثم دعا فأجابه الله و بين له أمره و لو كان ما يظهر من المعجزات الخارقة للعادات من باب السحر على ما زعم أعداؤه لم يشتبه عليه ما عمل من السحر فيه و لتوصل إلى دفعه من نده و هذا بحمد

الله من أقوى البرهين على نبوته و إنما أخبر النبي عليه السلام عائشة رضي الله عنها من بين نساءه بما كشف الله تعالى له من أمر السحر لأنه عليه السلام كان مأخوذاً عن عائشة رضي الله عنها في هذا السحر على ما روى يحيى بن يعمر قال حبس رسول الله عليه السلام عن عائشة فبينما هو نائم أو بين النوم و اليقظة إذا تاه ملكان جلس احدهما عند رأسه و الآخر عند رجله فهذا يقول للذي عند رأسه ما شكواه قال أسحر قال من فعل به قال لبيد بن اعصم اليهودي قال فأين صنع السحر قال في بئر كذا قال فماد و آؤه قال ينبعث إلى تلك البئر فينزع ماءها فانه ينتهي إلى صخرة فإذا رآها فليقلعها فان تحتها كوبة وهر كوز سقط عنقها و في الكوبة و ترفيه إحدى عشرة عقدة مغروزة بالأبر فيحرقها بالنار فيراً إن شاء الله تعالى فاستيقظ عليه السلام و قد فهم ما قالوا فبعث علياً رضي الله عنه إلى آخر ما سبق و عن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله عليه السلام إذا اشتكى شيئاً من جسده قرأ قل هو الله احد و المعوذتين في كفه اليمنى و مسح بها المكان الذي يشتكى و فيه إشارة إلى الهواجس النفسانية و الخواطر الشيطانية النفاثات الساحرات في عقد عقائد القلوب الصافية الظاهرة أخبات السيئات العقلية و ألوات الشكوك الوهمية و العياذ بالله منها.

### { وَ مِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ } (5)

{ و من شر حاسد إذا حسد } الوقف ثم يكبر لان الوصل لا يخلو من الإيهام أي إذا اظهر ما في نفسه من الحسد و عمل بمقتضاه ترتيب مقدمات الشر و مبادي الاضرار بالمحسود قولاً أو فعلاً و التقييد بذلك ما ان ضرر الحسد قبله انما يحيق بالحاسد لا غير و في الكشف فان قلت فلم عرض بعض المستعاذ منه و نكر بعضه

قلت عرف النفاثات لان كل نفاثة شريرة و نكر غاسق لان كل غاسق لا يكون فيه الشر أنما يكون في بعض درن بعض وكذلك كل حاسد لا يضر و رب حسد محمود و هو الحسد في الخيرات و يجوز أن يراد بالحاسد قابيل لأنه حسد أخاه هابيل و الحسد الأسف على الخير عند الغير و في فتح الرحمن تمنى زوال النعمة عن مستحقها سواء كانت نعمة دين أو دنيا و في الحديث " **المؤمن يغبط و المنافق يحسد** " و عنه عليه السلام الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب و أول ذنب عصى الله به في السماء حسد إبليس لآدم فأخرجه من الجنة فطرد و صار شيطانارجيما و في الأرض قابيل لأخيه هابيل فقتله قال الحسين بن الفضل رحمه الله ذكر الله الشرور في هذه السورة ثم ختمها بالحسد ليظهر انه أخبث الطبائع كما قال ابن عباس رضي الله عنهما

اكر درعالم ازحسد بدتر بودى      ختم اين سوره بدان كردى

حسد آتشى دان كه جون بر فروخت      حسود لعين را همان لحظه سوخت

كرفتم بصورت همه دين شوى      حسد كى كذاردكه حق بين شوى

و فيه إشارة إلى حسد النفس الأمّارة إذا حسدت القلب و أرادت أن تطفئ نوره و توقعه في التلويين و كفران النعمة الذي هو سبب لزوالها و في الحديث أن النبي عليه السلام قال لعنبة بن عامر رضي الله عنه " **ألم تر آيات أنزلت هذه الليلة لم ير مثلهن قط قل أعوذ برب الفلق و قل أعوذ برب الناس** " قوله ألم تر كلمة تعجب و ما بعدها بيان لسبب التعجب يعنى لم يوجد آيات كلهن تعويد غير هاتين السورتين و هما قل أعوذ برب الفلق و قل أعوذ برب الناس و في الحديث دليل على أنهما من القرآن ورد على من نسب إلى ابن مسعود رضي الله عنه أنهما ليستا منه و في عين المعاني



الصحيح أنهما من القرآن إلا أنهما لم تثبتا في مصحفه للأمن من نستانهما لأهما  
تجران على لسان كل إنسان انتهى.

اعلم أن مصحف عبد الله بن مسعود رضي الله عنه حذف منه أم الكتاب و المعوذتان  
و مصحف أبي بن كعب رضي الله عنه زيد فيه سورة القنوت و مصحف زيد بن  
ثابت رضي الله عنه كان سليما من ذلك فكان كل من مصحفي ابن مسعود و بأبي  
منسوخا و مصحف زيد معمولا به و ذلك لأنه عليه السلام كان يعرض القرآن على  
جبرائيل عليه السلام في كل شهر رمضان مرة واحدة فلما كان العام الذي قبض فيه  
عرضه مرتين و كان قراءة زيد من آخر العرض دون قراءة أبي و ابن مسعود رضي الله  
عنهما و توفي عليه السلام و هو يقرأ على ما في مصحف زيد و يصلى به قال عبد  
الله بن مسعود رضي الله عنه جميع سورة القرآن مائة واثنتا عشرة سورة قال الفقيه في  
البستان إنما قال إنها مائة و اثنتا عشر سورة لأنه أكن لا يعد المعوذتين من القرآن وكان  
لا يكتبهما في مصحفه يوكل أنهما منزلتان من السماء و هما من كلام رب العالمين  
ولكن النبي عليه السلام كان يرقى و يعوذ بهما فاشتبه عليه أنهما من القرآن أو ليستا  
منه فلم يكتبهما في المصحف و قال مجاهد جميع سور القرآن مائة و ثلاث عشرة سورة  
و إنما قال ذلك لأنه كان يعد الأنفال و التوبة سورة واحدة و قال أبي بن كعب رضي  
الله عنه جميع سورة القرآن مائة و ست عشرة سورة و إنما قال ذلك لأنه كان يعد  
القنوت سورتين إحداهما من قوله اللهم أنا نستعينك إلى قوله من يفجرك و الثانية من  
قوله اللهم إياك نعبد إلى قوله ملحق و قال زيد بن ثابت رضي الله عنه جميع سور  
القرآن مائة و أربع عشرة سورة و هذا قول عامة الصحابة رضي الله عنهم و هكذا في  
مصحف الإمام عثمان بن عفان رضي الله عنه و في مصاحف أهل الأمصار

فالمعوذتان سورتان من القرآن روى أبو معاوية عن عثمان بن واقد قال أرسلني أبي إلى محمد بن المنكدر و سأله عن المعوذتين أهما من كتب الله قال من لم يرعم أنهما من كتاب الله فعليه لعنة الله و الملائكة و الناس أجمعين و في نصاب الاحتساب لو أنكر آية من القرآن سوى المعوذتين يكفر انتهى و في الأكمال عن سفيان بن سختان من قال أن المعوذتين ليستا من القرآن لم يكفر لتأويل ابن مسعود رضي الله عنه كما في المغرب للمطرزي و قال في هدية المهديين و في إنكار قرآنية المعوذتين اختلاف المشايخ و الصحيح انه كفر انتهى